كنتُ أجلس ع؟ المقعد ذي المسند العا؟، وقد ملأه الأطباء الذينعملوا قب؟ بأسمائهم التي حفروها عليه، والحجرة قديمة قِ دَم القِ؟ العيني،فيها قد رأيتُه مرات ومرات حتى ارتويت. كلُّ ؟ء حتى بقايا القطن والشاش والدماء والـ؟مو؟ المكسور الذي وارتْه المرضة لتوِّها في ركن الغرفة،كلُّ ؟ء حتى الأنَّات الصادرة من الكمساري الراقد هناك، وقد انتهيتْ من إعطائه حقنةً لم تستطعْ بعدُ أن تُخدِّر المارِدَ الجبار الذي كان يعتـ؟ كليتَه.وفجأة دقَّ جرسُ الإسعاف.دقَّ في قـ؟ مرتفع مبتور.ولهذا الدقِّ عند كل الناس معنًى، معنًى يحمل في طيَّاته رهبةً تـ؟خ قلوبَهم، فإنه يعني إنسانًا يموت أو سيموت. أما عند الأطباء فإنه يحمل في ويبعثُ في تفكيرهم بالخيط وقد لُضم في الإبرة، والجلد وقد تعقَّم،المخدِّر وقد تصاعدت مختلطة برائحة صبغة اليود،ودقَّ الجرس مرةً ثانية. وتوقَّف التومرجي عن ؟َ حانه، واستدار ليُلقيَ ببقية سيجارته خِ لسة،عاد ينظر إ؟َّ من جديد، وقد زال الحرجُ الكثير الذي شعر به طيلةَ أنفاسه المختلسة.وسادت فـ؟ةُ صمت كنَّا نتسمَّع خلالها عويل عجلات »الـ؟و؟« وهو ينساب قادمًا ،ودلف رجلُ الإسعاف إ؟ حجرة الاستقبال، وقال وهو يكاد يلهث: حالة ؟ب ناريا بيه! واحد ظابط اغتالوه في الروضة! ؟ب نار! ضابط! اغتيال!لم أعد نفـ؟ حينئذٍ لصبغة اليود وماسك الإبر والخيط، فقد اختفى من شخصيتي وطفحتْ تلك الكلماتُ القلائل فوق ذهني يدفعها بركانٌ يختزنهشعوري عن الاغتيال والظلام و؟ب النار. انساب »الـ؟و؟« إ؟ الحجرة في نفس اللحظة التي مزَّقت فيهاسكونَ المستشفى كله ؟خةٌ مدوية طويلة صادرة من الأدوار العليا.وغادرتُ المقعد في لهفة وانكببت عـ؟ الجريح أراه وأرى النار التي أتتْ عليه.والحقُّ أنني لم أرَ ما حدَستُ رؤيتَه؛ فقد كان الرجل يرقد في ثقة،وشبَّك ذراعَيه فوق صدره وزمَّ شفتَيه،من ذلك النوع الذي يوقظ فيك مـ؟يتك، ويجعلك تعشقها من جديد.السُّمرة التي إذا ما تمعَّنتَ فيها وجدتَ في صفائها تاريخَ شعاعات الشمس المجيدة التيصنعت الحضارة عـ؟ جانبَي النيل، وكان شاربُه الأسود الكثُّ يُلوِّن تلك السمرة، رجولة تبعث القشعريرة في الرجال، وكان جسده صلْبًا شاهقًا، كان يضجُّ بالحياة والقُوة. ومع هذا يقولون مـ؟وب بالنار.وقفتُ أُحدِّق فيه ولا أتحرك، ولم أَعُدْ إ؟ نفـ؟ إلا حين همَّ بالكلام؛ إذ مِلتُ عليه ألتقط وإذا بي أقول في صوت مستنكر هامس: إيه؟! قتلوك؟!ومـ؟ في نفس صوته المملوء المنخفض الرنَّان يقول: قتلوني في الضلمة، وأنا ملسوع دهش: مين،فقال وهو مسـ؟سل بنفس صوته الذي كان يجذبني إليه بقوةٍ وعنف: المجرمين وحدَّق بعينَيه السوداوين الواسعتين، وكأنه يخـ؟ق سقفَ الحجرةإ؟ ما وراءها من سماء: كده يا فاروق،وتلقَّف الواقفون كلماتِه، و؟َت الهمهمةُ من داخل الحجرة إ؟ الخارج،وأحسستُ بنفـ؟ أنفعل وكأن نارًا قد شبَّت فيَّ، كنَّا أيامها تحت حكم فاروق، وكان الظلام والسخط يُخيِّم عـ؟ مـ؟، ويُعشِّش في قلوب الناس.وكان لا يحمل إ؟َّ إلا ضحايا العربات وعجلاتها، و؟عَى الـ؟ِّ ام،وكان ذلك أولَ جريح أراه مـ؟وبًا بالرصاص.ولم أعُدْ أتمالك نفـ؟. وتناسيتُ ما عـ؟َّ من واجب، ولم أعُدْ أُفكِّر إلا كمـ؟ي يختنق ثم يرى الظالمَ ؟َع أخاه.وغمغم الرجلُ المسجَى أمامي.وعدتُ أنظر إليه وأُدقق النظر.كان وجهُه يصفرُّ ويصفر، وكانت تقاطيعُه المفتولة تـ؟اخى تحت وابل من نُقط وهي تتجمَّع فوق جبهته، وعـ؟ وجنتَيه كقطرات الندى تتجمَّع عـ؟ زهرة وتلمستُ جسدَه فوجدتُه باردًا، لم تكن برودةَ الثلج، إنما كانت برودةَ ممرٍّ طويل فيوقفزتْ إ؟ ذهني في قوة الانفجار تلك الكلمةُ التي طالما استبشعتُها: صدمة!نطقت بها غيرَ شاعر أني أنطق، ومددتُ يدي أتحسس ذراعَه مرةً أخرى لأرى نبضَه،وصدرتْ من بين شفتيه التي كانت قد ازرقَّت تمامًا أنَّةٌ طويلة عميقة تعوي وتتلوَّى، دراعي مخلوع.والتقط بضعَ أنفاس لاهثة. ويُميت.شعوري، تخرسنا جميعًا.واستقرَّ بـ؟ي عـ؟ أربع دوائر سوداء،يؤدي إليه السواد والظلام،داخل الصدر، وقطعة نفذت واخـ؟قت الرئة، وسال من منفذها الدمُ.وقلت وكأنني أستنجد بـ؟ءٍ غامضٍ ، إذا احتاج الأمر أن أقولها،في بعض الأحيان، وهرج التومرجية والممرضات في كليهما. كانتتصور ؟ ظلام الريف الواسع المفتوح، ورجفته يعقبها طُمأنينة، ذلك الصوتَ المغيث،أرخص ليا؟في رأسه أثناء المظاهرات، والذي مات عليه صديق ابن العربجي الذي مرَّت فوق صدرهعربةُ أبيه فتهشمت ضلوعُه، عـ؟وأوعية الماء الساخن، وطِلاء الحجرة الأبيض الناصع، وممرضة، وصمت ترعشه أنَّاتُ عبد القادر.وما كادت آخرُ قطرة من أول لـ؟ من الدم تأخذ طريقَها إ؟ قلبه، حتى اختفت قليلاً وخفتت حركاتُ عينيه، وظلَّالتحديق، ثم زاد عجبي وأخذتْ دوائرُ صغيرة من القلق تنداح في صدري. ثماستقرت تقاطيعُه عـ؟ ابتسامةٍ كانت أجملَ ما رأتْه عيناي ليلتها.ولستُ أدري ما ارتسم عـ؟ وجهي لحظتها، وامتدت، أحسن كثير.تقاطيعُه، وانطلقت من سواد عينيه أشعةٌ تـ؟ق،وتوترت أنفاسُه اللاهثة، الخاين، وخفت الـ؟يق، وتلألأت فجأة تلكالقطراتُ الصغيرة الـ؟يرة من العَرَق عـ؟ جبهته وعـ؟ وجنتَيه. عطشان.وكانت يدي أسبقَ من يد المرضة أمدُّها إليه بقطعة القطن،بها شفتيه ولسانه. وطاوعتْه القسماتُ في النهاية، عاوز أ؟ب.وكانت يدي أسبقَ من يد المرضة؛وسمعتُ نقرًا عـ؟ الباب، واندفعتِ العيونُ نحوي،ودخل كاتب الاستقبال، صامتًا عـ؟ غير عادته،؟ءٍ، ونـ؟ ما يبحث عنه.ظهرها ثقوب،عـ؟ صدره الأيمن، وحافظة نقود فيهافوق ما فيها من أوراق صورة قديمة تثنَّت حوافُّها لطفلٍ صغير.وتلكأ

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

الكاتب قليلاً بعد أن انتهى من مهمته، ودار ببـ ذاهلٍ في أرجاء المكان،واستقرت عينُه بعد تردُّد عـ عبد القادر،وأغلقتُ الباب.وكان الوقت قد تأخـ ر، والمصابون الذين يتطلبونني قد انتهوا أو كادوا،المستشفى، والظلام في الخارج واسع واسع لا حدود له،له كلُّ ـء، والمهمرضة تتثاءب،الـير، والهواء أصبح لزجـ ا ثقيلاً .وأحسستُ أول الأمر أن أشياء كثيرة حو تلهث. وكأنها رئةُ محموم.ووجدت نفـ أقف، وأتمـ في الحجرة،»محلول الملح«، وما كان في حاجةٍ إـ رباط.ومع هذا بقيت الحجرةُ كلها تلهث كرئة المحموم.وعـ حين بغتةٍ عرفتُ ما حدث.ووقفتُ أرقب صدْرَ عبد القادر الصاعد الهابط،الهواء، فتتقبض كلُّ جارحةٍ من جسده،وهو يناضل،كان يتنفس، وكأنما حجر ضخم يجثم فوق صدره، ولا يستطيع منه فـ كاكًا.أرخص ليا ورأيت الدم، وشبعتْ منه المرتبة،لقد بدأ النزيف.وبحثنا جميعـ ا عن كل ما استطعناه من قطنٍ وشاشٍ نكتم به الدمَ المتصاعد الوهـ اج. واعتـ ناه، ثم وضعناه فعاد يمتلئ ويتـ ب منه الدمُ بإـ ار وعمدٍ إـ أرض الحجرة.طبقة فوقها طبقة، ولم أثقْ في المشمع،ووقع بـ ي عـ يدي، فوجدتُها كلُّها دمٌ جف، وآخر لم يجفـ .ولم يكن هذا أولَ دمٍ أراه،الاستقبال، الدفء الخانق القابض،الموت، الرائحة التي تُذكِّرك بالمذبوحين والمبقورين،ولكن في تلك الليلة،حين يجفـ ، كلما أوغلتُ في تأمـ للجريح الذي لا بد كان رجلاً ككل الرجال،وادينا،وكلما أوغلتُ في تأمـ، والشهداءالذين لهم أسماء فوق الرخام، وأرى الناس ونفـ،وكل من له عـ رق، وكل من له خال،أهيم، ثم أعود إـ يدي التي فوق صدر الجريح، وأي موت؟وضغطتُ يدي، وهي تسيلمن الجهاز إـ ايين الجريح،أن تُفلحَ في سدِّه، وينتهي الدمُ إـ خيط النقط الغليظ،٥ ساعاتولم يفرغ الدمُ المنبثق.وكنتُ وزميل جاء يساعدني تتقابل نظراتُنا، ثم تتباعد لتغيب عقولنا.وكان لا بد من دمٍ آخر.وانتهت دورة الزميل عـ مستشفيات القاهرة كلها،الدم في البلد، وآخر ما نتعلق به،وكنا قد يئسنا.فصدره الصاعد الهابط كان قد بدأ يخرخش،فمه، وسمرته أخذت مكانها رمادية لا تمتُّ إـ الأحياء. ورأيتُ جرحى يموتون، ولكن كان صعبًا عـأن أصدق أن عبد القادر سيموت.تنكمش وتنكمش، والعملاق الذي كان يُضمر ويُضمر،فما ظهر لها أثر، أصبح كل ما فيه الجروح،خائفـ ا من الموت، وكنتُ خائفـ ا عليه، وكان كلانا عنده أمل. كنتُ أستمدُّ أمـ من الزجاجاتوالمورفين وحمـ ام الكهرباء، وكان يستخلص أمله من أمـ،يقاتل وهو يستمدُّ الهواء.وكان يقول ـ في أول الليل: يا دكتور، في بطءٍ ثقيل،عمرًا بأكمله، لأننا كلَّنا مظلومون.وما كنتُ وحدي الذي حدَث له هذا. فعزَّت علينا الصحبة، وأصبحنا كالأـة الواحدة ذات الجرح الواحد.وكان اليأس هو أمضـ ما نستطيع ابتلاعه.وكان اللـ الأخير الذي جاء به الزميل أهمَّ حدَث في ليلتنا.ورحنا نعالج وضعـ ه وإحكامه بحرص، ونكل في البحث عن وريد نضع فيه الإبرة، فلا تومرجي أو حكيم،إنسان،وـى الدمُ الجديد.وتقاربنا حول الفراش نرقب النتيجة،فَم، ويتلوَّى ويرفع ساقه ويدفعها،وهدأ الجسدُ بعد هنيهة، واستمرَّ الأنين الخافت المتواصل؛أشجانك، فتذكر كل ما مرَّ بحياتك من أحزان، وتبكي عـ كل من مات.وحدسـ نا أن الأزمة قد مرَّت، والدمَ الأخير قد أفلح.ولكن كان الهدوء الذي ساد جسدَه لا يُطمـ،حتى أصبحت كأصوات المنشار، وهو يغور في الخشب. واـأبَّت أعناقُنا،دمـ ا أحمر، نفس الدم الذي كان منذ هنيهة في الزجاجة.واحمرَّ القطن من جديد وهو ينضح الدم.وتباعدت أجفانُه التي كانت مسدلةً من أمدٍ بعيد، وتحدقان في ضعف، وانساب عطشان.وبللتُ فمـ ه بالماء،أحـته له. ومرات ليبصق الدم.وأصبح الجرح الذي في جانبه أوسع من فمه،ورحنا في صمت.وتلفتُّ حو لأجد الحجرة قد وقف ما فيها من هواء،لها ألوان، والجدران تُردِّد حـجةَ أنفاس تتباعد وتطول، والوقت أبطأ من بطئه حتىلكأن بين الثانية والثانية عام، وقد أمسك بالـيروسمَّ ر عينيه عـ زجاجة الدم، والمهمرضة راحت عيناها تعدو بين الفم الذي أصبح كالجرح،والجرح الذي أصبح كالفم،٥ ساعاتكنا جميعـ ا نتحفز ونستعدُّ، وكانتقلوبُنا وسواعدنا وعقولنا متشابكةً متلاحمة تُحا رَجلَنا، وضاقت الحجرة، حتى ما عـُ دنا نستطيع التنفس. وتصبَّبْنا مياهًا اونحن ندفع الهواء إـ رئتيه، ونخـق صدره بإبرة طويلة،العقار، ليعلوَ صدره. ونبذل طاقاتِنا كلها،وخفنا أن نصدق، وضم قوانا، ويزداد إيماننا بخداع الحقيقة.وجاءنا من الركن نحيبُ المهمرضة المكتوم.واقشعرت أجسادُنا من النحيب، فأصبح كدوي الطبول.ودفع التومرجي أسطوانة الأكسيجين جانبًا،ويبكي، ويقتلع النفوس ببكائه الرجا الخشن ويقول: آه يا حبيبي يا خويا.وأفقت عـ قول زميـ، والدموع تغصُّ حلقَ ـه: البقية في حياتك. والتي نحسُّ وأننا مضيعون،معها إلا البكاء، فيحملنا البكاءُ إـ بكاء.وجال بخاطري أن أُعانقَ زميـ وأضمَّ ما في صدري إـ ما في صدره، وأُخفيَ ما أحسُّ به من خجل إزاء فشلنا أمام الموت، نتأمل الرجل المسجى، وتحز الخسارة في قلوبنا، وملامحهالتي اسـاحت في هدوءٍ دائم.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي